ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
(٥١) قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) ﴾

قوله سبحانه : ﴿ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ (٥١) ﴾[يس] أى : البوق الذى ينفخ فيه إسرافيل ، وهذه هى نفخة البعث ، وتسبقها نفخة الصَّعْق التى تُميتهم وتخمدهم ، لذلك يقول سبحانه : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) ﴾ [الزمر]

فإنْ قُلْتَ : النفخة واحدة ، فكيف تميت الأولى وتحيى الثانية ؟ نقول : النفخة فى الصُّور ما هى إلا علامة فقط للحدث أمّا الفاعل على الحقيقة فهو الله سبحانه وتعالى ، فهو الذى يميت فى الأولى ، ويحيى فى الثانية .

ومعنى ﴿ الأَجْدَاثِ (٥١) ﴾[يس] القبور ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) ﴾[يس] يعنى : يُسرعون وأصل كلمة ﴿ يَنسِلُونَ (٥١) ﴾[يس] من نسل الخيوط بعضها عن بعض ، نقول : الثوب (ينسل) يعنى : تخرج بعض الخيوط من أماكنها من اللُّحْمة أو السُّدَّة ، لذلك نقول : (كفف) الخياطة يعنى : امنع هذا (التنسيل) بأن تُمسك الخيوط بعضها إلى بعض ، فلا تنفلت .

فإذا ما خرجوا من الأجداث ورأوا الحقيقة التى طالما كذَّبوها

قالوا : ﴿ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا (٥٢) ﴾[يس] هم الذين يقولون ويدْعُون على أنفسهم بالويل والثبور ؛ لا أحد يقول لهم : ويلكم إنما يقولونها هم لأنفسهم ، وهذا بيان للحسرة على ما فاتهم .

والمعنى : يا ويلنا احضر ، فهذا أوانك ، لأن الأمر فوق ما نحتمل ، ولا نستطيع دفعه ، والإنسان حين يُفاجأ بفساد رأيه يعود على نفسه باللوم ، بل قد يضربها ويعذبها .

وعجيب منهم أنْ يقولوا الآن ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا (٥٢) ﴾[يس] فيعترفون بأن الموت كان مجرد مَرْقد ، والمرقد لا بُدَّ بعده من يقظة . عندها يردُّ عليهم : ﴿ هَـٰذَا ﴾ أى : ما ترونَه من أمور القيامة ﴿ مَا وَعَدَ الرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) ﴾[يس] ويجوز أنْ يكون اسم الإشارة ﴿ هَـٰذَا ﴾ إشارة إلى ﴿ مَّرْقَدِنَا ﴾ فى ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَـٰذَا (٥٢) ﴾ [يس]

الحق - سبحانه وتعالى - أخبر أنه جامعُ الناس ليوم لا ريب فيه ، وأن مَنْ أفلت من عقوبات الدنيا وعذاب الحياة التى يعيشون فيها ، فإن الله مُدَّخر له عذاباً من نوع أشد ؛ لأن الذين قاموا بالدعوة إلى الله أول الأمر واضطهدوا وأُوذوا ، منهم من مات فى الاضطهاد قبل أنْ يرى انتصار الإسلام وغلبة المسلمين ، وقبل أنْ يرى انتقامَ الله من أعدائه ، فإذا كان الأمر كذلك فلا بُدَّ أن يُرى اللهُ هؤلاء المؤمنين عاقبةَ الكافرين وما نزل بهم من العذاب .

والوعد هنا رغم أنه إنذار بالشرِّ الذى ينتظرهم ، إلا أنه فى حقهم يُسمَّى وَعْداً لا وعيداً ، لماذا ؟ لأن التحذير من الشر قبل الوقوع فيه نعمة كبرى ، كما فى قوله تعالى فى سورة الرحمن : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) ﴾ [الرحمن]

فجعل النار والشُّواظ من آلاء الله ؛ لأنه يُخوِّفهم بها ، ويحذرهم منها ، ولم يفاجئهم بها وهم أصحاء ، ويسمعون ويبصرون ، ويقدرون على الرجوع إلى الله والتوبة إليه ، فهم فى وقت المهلة والتدارك . وكما تُحذِّر ولدك من الرسوب إنْ هو أهمل دروسه وتتوعده ، إذن : فالوعيد هنا عَيْن النعمة ؛ لذلك سُمِّى وعداً لا وعيداً.

ومعنى : ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)﴾[يس] أى : فى البلاغ عن الله ﴿إِن كَانَتْ (٥٣)﴾[يس] أى : ما كانت النفخة ﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً (٥٣)﴾[يس] لا تتكرر ؛ لأن الذى يُكرر الفعل البشر ، ومعنى تكراره أن الفعل الأول لم يكُنْ كافياً ولم يَفِ بالغرض منه ، أمَّا هنا فالفاعل الله عز وجل .

﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣)﴾[يس] إذا هنا فجائية ، فبمجرد الصيحة أُحْضِروا جميعاً رغماً عنهم ، وبدون اختيارهم ، ومُحضر اسم مفعول من أحضر . يعنى : أُجبر على الحضور والمثول بين يدى الله للحساب .

وفى الآية السابقة ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)﴾[يس] فزادتْ (كل) الدالة على شمول الأفراد ، إنما قد يكون شمول الأفراد تتابعاً مجموعة تلْو الأخرى ، لكن هنا يأتون مجموعين ليرى التابع متبوعه ، والضال مَنْ أضلَّه .. الخ ؛ لذلك يسمونها الفاضحة .

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)﴾

كأن الحق سبحانه يُطمئِن أهل الإيمان والعمل الصالح ، يعنى :

لا تخافوا من هَوْل القيامة ؛ لأننا لا نظلم أحداً ، والجزاء عندنا من جنس العمل ﴿ وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) ﴾[يس] فهذه الآية طمأنينة لمن عمل صالحاً ، وتخويف لمن عمل سيئاً .

واليوم هنا أى : يوم القيامة ، والموازين فيه بيد الحق سبحانه ، يعنى : إنْ كنتم فى الدنيا يظلم القوىُّ الضعيفَ ، ولا تقيمون الموازينَ بالقسط ، فالميزان يوم القيامة ميزان عادل ، لا يظلم ؛ لأن الذى سيقيم هذا الميزانَ هو الحقُّ سبحانه : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) ﴾ [غافر]

ثم يحدثنا الحق سبحانه عن جزاء أصحاب الجنة ، فيقول :

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) ﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ (٥٥) ﴾[يس] الصاحب هو المنتقَى والمختار من جنسك لتصاحبه ولا تفارقه ، فكأن الجنة أُخْرجت مخرج العقلاء الذين يُصاحِبون ويُصَاحَبون ، ذلك لأن الجنة كانت فى بالهم وفى أذهانهم ، فهم متعلقون بها وهى شُغُلهم الشاغل ، فلَهُم صحبة بالجنة ، وللجنة صحبة بهم ، فكلما أقدموا على خير تذكَّروا الجنة فرغبوا فيه ، وكلما أقدموا على شر تذكروا النار فانصرفوا عنه . أو : أن الصاحب هو المالك للشىء ، فكأن الجنة ملْك لهم ، ملكوها وحازوا مفاتيحها بما قدَّموا من العمل الصالح .

ومعنى ﴿ الْيَوْمَ ﴾ أى : يوم القيامة ﴿ فِى شُغُلٍ (٥٥) ﴾[يس] أى :

نعيم يشغلهم عن أيّ شيء آخر أو : فى شُغُل عن معارفهم وأقاربهم الذين دخلوا النار والعياذ بالله ، كما قال سبحانه : ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا (٣٣)﴾[لقمان] فهم فى نعيم يشغلهم عن كل هؤلاء ، فكأنهم لا يعرفونهم .

﴿ فَاكِهُونَ ﴾ يقال : فَاكه وفكه يعنى : متلذذ ومُتنعِّم . ومنها : الفاكهة ، فهى ليست من الضَروريات إنما من التفكُّه والتلذذ .

وقوله سبحانه : ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦)﴾[يس] أذكر أننى لما قرأتُ هذه الآية على الإخوان ضرب واحد منهم على صدره - وكان شيخاً وقوراً - ضرب على صدره بعنف وانفعال ، وقال : (يا خرابى ، يعنى فلانة هتجيلى تانى) لأنه رأى فى زوجته ما يُنفِّره منها ، فتعجب أنها ستصاحبه حتى فى الآخرة وفى الجنة ، فقلنا له : يا شيخ أنت تكره فى زوجتك أشياء لكن لها مع الله أعمال طيبة ، تجعلها أهْلاً للجنة ، فعملها الطيب مع الله يلغى عملها السيىء معك .

وربما كنتَ أنت حَادّ المزاج ، أو طماعاً وعينُك زائغة ؛ لأن الله تعالى قال فى الحياة الزوجية : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١)﴾ [الروم]

فالحياة الزوجية فى بدايتها سكَن ، حيث يسكن كلٌّ منهما إلى الآخر ويرتاح فى حضنه ، ثم إذا تغيَّرتْ الأوضاع وزَهَد أحدهما فى الآخر أو ظهر منه ما يُنفِّر كانت المودة ، فإذا ما أصابهما الكبَر والعجز فليرحم كل منهما عَجْز الآخر ، بما جعله الله بينهما من صَفة الرحمة ، فالحياة الزوجية فى هذه الحالة معيشة تراحم قبل كل شىء .

ثم إن هذه الزوجة التى تنقم منها بعض الصفات ، وتنفر من تصرفاتها لن تأتى فى الآخرة على هذه الصورة التى تكرهها ، إنما ستأتى على صورة جديدة كما قال سبحانه : ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران] فالله سيطهرها مما كنتَ تأخذه عليها .

ومعنى : ﴿فِي ظِلَالٍ ﴿٥٦﴾﴾ [يس] أى : لا شمسَ هناك ، ولا حَرَّ يؤذيهم ، والظل معروف ألفه المكلَّفون فى الدنيا ، وإليه يفيئون فى حَرِّ الشمس ، فهو أمر مألوف لهم ، أما فى الآخرة فهى ظلال يُمتَّعون فيها ، أو فى ظل الله كما ورد فى الحديث الشريف : « سبعة يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.. »[1]

والأرائك : جمع أريكة ، وهى السرير الذى له حَجَلَة[2] (النموسية) أو : هى الوسادة التى يُتكأ عليها .

ومعنى ﴿مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس] الاتكاء حالة وهيئة للإنسان ، فهو : إمَّا قائم ، أو قاعد ، أو متكئ ، والاتكاء أمتع هذه الحالات ؛ لأن القائم قائم لعمل ، والقاعد يقعد لهَمٍّ يفكرُ فيه ، فلا هو قادر على القيام للعمل ، ولا هو قادر على الاتكاء للراحة ، فقوله سبحانه ﴿مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس] يعنى : تمام الراحة لهم .

ثم يقول سبحانه : ﴿لَهُمْ فِيهَا ﴿٥٧﴾﴾ [يس] أى : فى الجنة ﴿فَاكِهَةٌ

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٠٣١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ضمن حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلَّق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ».

(٢) الحجلة فى اللغة : مثل القبة . وحجلة العروس : بيت يُزيَّن بالثياب والأسِرَّة والسُّتور . ويكون له أزرار كبار [لسان العرب - مادة : حجل] .

﴿٥٧﴾[يس] الفاكهة من التفكُّه والتلذذ ، وعرفنا أن الطعام يأكله الإنسان إما للاقتيات وهو الضروريات ، وإما فاكهة للتلذُّذ والتنعُّم ، وهنا يذكر الحق سبحانه الفاكهة فحسب ؛ لأننا لا نأكل فى الجنة إلا تفكُّهاً وتنعُّماً ، لا عن حاجة أو جوع .

﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[يس] أى : ما يدعون به وما يخطر ببالهم ، فيجدوه بين أيديهم . وقال بعضهم (مَا يدَّعُون) يعنى : لا يدخر الله لهم دعوة ؛ لأنه سبحانه يعطيهم قبل أنْ يدعوا[(١)] .

وبعد ذلك يتكلم الحق ـ سبحانه وتعالى – عن معنى كان يريده لخَلْقه فى الدنيا نتيجة للسير على منهجه وصراطه المستقيم ، فيقول سبحانه : ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس] فثمرة الإسلام أنْ يُسلْموا زمامهم جميعاً إلى يد خالقهم ، وأن يكونوا إخوة عابدين لمعبود واحد ، وأن يعيشوا معاً فى أمن واطمئنان وسلام .

إذن : فالأمن والسلام هما الغاية من منهج الله ، وهما تمام النعمة ، وإلا فلو نعم الإنسانُ بكل ألوان النعيم وفقد نعمة الأمن والسلام لنغَّصَتْ عليه كل النعم ، وما هنىء بعيش ولا تمتَّع بلذة ؛ لذلك امتن الله تعالى على قريش فقال : ﴿ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش]

السلام يكون منك حين تُقبل على آخر فتقول : السلام عليكم يعنى : أنا مقبل عليك بسلام ، فيردُّ عليك : وعليكم السلام ، والمعنى :

---

(١) أورد القرطبى فى تفسير هذه الكلمة عدة أقوال (٥٦٨٢/٨) :
– من دعا بشىء أعطيه . فمعنى يدعون : يتمنون . قاله أبو عبيدة .
– من ادعى منهم شيئاً فهو له .
– يدعون : يشتهون . قاله يحيى بن سلام .
– يسألون . قاله ابن عباس .
ثم قال القرطبى : « والمعنى متقارب » .

لا أنت تؤذينا ، ولا نحن نؤذيك ، وكُلٌّ يعطَى من السلام على قدر إمكاناته ، فإذا كان السلام من الله ، فهو السلام المطلق ، السلام الذى يحميك من كل جوانبك ، فلا ينفذ إليك شىء يضرُّك .

ومعنى : ﴿ سَلامٌ قَوْلاً (٥٨) ﴾[يس] يعنى : الله تعالى هو قائله ليس مناولةً عن طريق الملائكة مثلاً ، فيقول لهم : سلِّموا على فلان ، فالمعنى : سلام حالة كونه قَوْلاً من رب رحيم ، وليس بلاغاً عن الله من أحد ، واختار هنا لفظ الربوبية التى تقتضى أن المربِّى يحب المربَّى ، فما بالك إذا وصفتَ الربوبية بالرحمة ﴿ مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) ﴾[يس]

وبعد أنْ حدَّثنا الحق سبحانه عن المؤمنين ، وما ينتظرهم من النعيم يُحدِّثنا عن المجرمين :

﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ (٥٩) ﴾

معنى : ﴿ وَامْتَازُوا (٥٩) ﴾[يس] أى : تميَّزوا أيها المجرمون عن المؤمنين ، وانحازوا بعيداً عنهم ، تجمعوا فى جانب واحد لتروْا دخول المؤمنين الجنة ، وتظلوا أنتم فى الموقف لتزداد حسرتكم .

وقد اقتضتْ حكمة الله تعالى أنْ يُميز المؤمنين والكافرين بمعنى : أن يُعرف كُلٌّ منهم ، وذلك فى غزوة الحديبية ، فلما مُنع المسلمون من دخول مكة وهم على مشارفها حَزِن المسلمون حُزْناً شديداً ، حتى كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب الذى قال لرسول الله : لِمَ نقبل الدَّنيَّة فى ديننا[1] ؟

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٤/٣٢٥) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم فى حديث الحديبية الطويل ، وفيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما جرى صلح الحديبية والتأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أو ليس برسول الله ؟ أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلامَ نعطى الذلة فى ديننا ؟ فقال أبو بكر : يا عمر الزم غرزه حيث كان » الحديث بطوله .

وكاد المسلمون يخالفون أمر رسول الله حتى قال لزوجته السيدة أم سلمة : « هلك الناس يا أم سلمة ، أمرتُهم فلم يطيعوا » فقالت : يا رسول الله ، إنهم مكروبون . ذلك لأنهم مُنعوا من دخول الحرم وهم على مقربة منه ، وهذا أمر صعب على نفوسهم ، ثم أشارت على رسول الله وقالت : يا رسول الله امْض إلى ما أمرك الله به فافعل ، ولا تكلم أحداً ، فإنهم لو رأوك عزمتَ انصاعوا ، وفعلاً أخذ رسول الله ﷺ بمشورة السيدة أم سلمة ، وانتهت المشكلة[1] .

وقبل أنْ يعودوا إلى المدينة بيَّن الله لهم وجه الحكمة فى ذلك والعلة من صلح الحديبية ، ولماذا قَبِل رسول الله شروطها . العلة أن بين كفار مكة مؤمنين يكتمون إيمانهم ، ولا يعرفهم أحد ، فلو دخل المسلمون مكة فى هذا الوقت لحدثتْ مصادمات بين الجانبين ، وعندها سيُؤْذَى هؤلاء المؤمنون الذين يكتمون إيمانهم ، ولا يستطيعون الجهر به ، وسيؤخذ العاطل مع الباطل .

لذلك قال سبحانه فى هذه القصة من سورة الفتح : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) ﴾ [الفتح]

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٤/٣٢٥) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وفيه : أن رسول الله ﷺ قال : يأيها الناس انحروا واحلقوا فما قام أحد ، ثم عاد بمثلها فما قام رجل حتى عاد بمثلها ، فما قام رجل ، فرجع ﷺ فدخل على أم سلمة فقال : يا أم سلمة ما شأن الناس ؟ قالت : يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت فلا تكلمنَّ منهم إنساناً ، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك ، فخرج ﷺ لا يكلم أحداً حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة فى وسط الطريق ، فنزلت سورة الفتح .

ومعنى ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا (٢٥)﴾[الفتح] يعنى : لو تميَّز المؤمنون عن الكافرين .

أو : يكون المعنى : ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩)﴾[يس] امتازوا بعلامات تميزكم وتلازمكم دائماً ، بحيث لا يكون خجلكم أمامنا الآن فحسب ، إنما تكون لكم سمات تُعرَفون بها ، وهذه العلامة هى علامة الغضب وسواد الوجه والعياذ بالله . ومن ذلك قوله تعالى فى المؤمنين : ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ (٢٧٣)﴾ [البقرة]

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)﴾

كأن سائلاً سأل : وهل يستحق الكفار كلَّ هذا العذاب وهذا الغضب من الله تعالى ؟ فيجيب الحق سبحانه : نعم ، يستحقون ؛ لأن الله نبَّههم وحذرهم فلم يستجيبوا ، ذلك فى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ (٦٠)﴾ [يس]

فالحق سبحانه لم يأخذكم على غرَّة ، إنما نبَّهكم وبيَّن لكم مداخل الشيطان وحبائله وحيَلَه ؛ لأن الشيطان من خيبته رمى بكل مداخله مع المؤمنين أمام الله ، فحذرنا الله منها ، وبيَّن لنا عداوته لنا ، وعداوته المسبقة مع آدم عليه السلام منذ أنْ أُمر بالسجود فأبى .

ولم يَنْتهِ أمره عند عدم السجود ، إنما أغوى آدم ، وأراد أن ينتقم منه ومن ذريته من بعده ، بل وأقسم على ذلك أمام خالقه سبحانه ، فقال بجبروت الإغواء كما حكى القرآن : ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢)﴾ [ص] لكنه تذكر عبوديته الحقة للرب الأعلى ، فقال :

﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ﴾ [ص]

فهؤلاء لا مدخلَ لى إليهم ، والمعنى أن الخصومة ليست بينى وبينك ، إنما بينى وبين بنى آدم . وحين أقسم إبليس ، أقسم قسماً يؤكد قدرته على ما يهدد به ، فمثلاً سحرة فرعون حين أقسموا قالوا : ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) ﴾ [الشعراء]

أمَّا إبليس فيعرف جيداً كيف يقسم ، فقال ﴿ فَبِعِزَّتِكَ (٨٢) ﴾ [ص] يعنى : باستغنائك عن خَلْقك ، مَنْ شاء فليؤمن ، ومَنْ شاء فليكفر ، هذا هو الباب الذى سأدخل منه إليهم ، أمَّا من تريده أنت يارب ، فلا أستطيع أن أقترب منه .

ومعنى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ (٦٠) ﴾ [يس] يعنى : آمركم كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ [طه]

يقول تعالى : ألم آمركم يا بنى آدم أنْ تحذروا مكايد الشيطان ، وأن تتنبَّهوا إلى مداخله إليكم وشباكه وخططه ، ألم يقل هو نفسه : ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ﴾ [الأعراف] إذن : كان ينبغى ما دُمْتم أخذتم المصْل الواقى أن تكون لديكم المناعة اللازمة لمواجهة هذا العدو ، خاصة وقد أسفر عن وجهه ، وأوضح خططه ، فهو لكم على الصراط المستقيم ، ومداخله من سبل الطاعة لا من سُبل المعصية ، الشيطان لا يأتى أهل الفجور وروَّاد الخمارات ، إنما يأتى أهل الطاعات ليفسدها عليهم .

وصدق الشاعر الذى قال عَمَّنْ أسرف على نفسه فى المعاصى :

وَكُنْتُ امْـرءاً مِنْ جُنْـدِ إبْلِيسَ فَارْتَـقَى

بِىَ الحَالُ حَتَّى صَارَ إبْلِيسُ مِنْ جُنْدِى[(١)]

ومعنى : ﴿أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ (٦٠)﴾ [يس] عبادته طاعة نزغاته ووسوسته ، والعلة فى ذلك ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠)﴾[يس] يعنى : عدو بيِّن العداوة ، محيط بأساليب الكَيْد لأعدائه .

وبعد أنْ نهانا ربنا - تبارك وتعالى - عن عبادة الشيطان يُوجِّهنا إلى العبادة الحقة : ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)﴾ [يس] حين نتأمل هاتين الآيتين نجد أن العلة فى النهى عن عبادة الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠)﴾ [يس] كان القياس فى الآية بعدها : وأن اعبدونى لأننى حبيبكم كما جاء فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم ، أنا لك مُحِبٌّ ، فبحقى عليك كُنْ لى محباً ».[(٢)]

لكن الحق سبحانه لم يُعلل عبادته سبحانه بالمحبة ، إنما اعبدونى لأنى أدعوكم إلى الصراط المستقيم النافع لكم المنظِّم لحياتكم ، اعبدونى لهذا ، أما مسألة المحبة فهى موجودة وأنا أحبكم ، فسواء كنتُ أحبك أو لا أحبك كان ينبغى عليك اتباع هذا الصراط المستقيم ؛ لأنك المستفيد منه .

ولأهل المعرفة وقفة عندما قرأوا :﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾

---

(١) هذا البيت ذكرته الموسوعة الشعرية من شعر شاعرين : أولهما : الخبز أرزى (توفى عام ٣١٧ هـ - ٩٣٩ م) واسمه نصر بن أحمد ، بصرى ، انتقل إلى بغداد ، أخباره كثيرة طريفة : ونص البيت عنده ضمن قصيدة من بحر الطويل عدد أبياتها ٤٦ .

وكنت فتى من جند إبليس فارتقى ... بى الأمر حتى صار إبليس من جندى

وقد أخذ الأمير الصنعانى (توفى ١١٨٢ هـ - ١٧٦٨ م) هذا البيت فقال :

وكنت امرءاً من جند إبليس فارتمى ... بى الدهر حتى صار إبليس من جندى

وهو من بحر الطويل من قصيدة عدد أبياتها ١٥ بيتاً .

(٢) أورده الإمام أبو حامد الغزالى فى « إحياء علوم الدين » (٢٩٦/٤) ، قال : « فى بعض الكتب (يقصد الإلهية) : عبدى أنا وحقك لك محب ، فبحقى عليك كن لى محباً » .

[الفاتحة] ﴿ هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) ﴾ [يس] ، ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ (١٥٣) ﴾ [الأنعام]

قالوا : الصراط المستقيم هو الطريق العَدْل الذى لا اعوجاجَ فيه ، ويمثل أقربَ الطرق وأقصر مسافة بين نقطتين ، وساعةَ تسمع كلمة الطريق تعرف أن له بداية ونهاية من .. إلى ، وهنا إشارة لطيفة ينبغى أن يتنبه لها المؤمن ، هى أن الدنيا بالنسبة لك ما هى إلا طريق أنت تسير فيه ، له بداية وله نهاية ، فهى - إذن - ليستْ دارَ قرار وإقامة ، إنما دارُ عبور ومرور .

والإنسان حينما يقيم فى مكان ولا يجد به راحته يتركه إلى مكان آخر ، ولو استقام له المكان الأول ما تركه ؛ لذلك يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا .. (٩٧) ﴾ [النساء]

وهذه الهجرة أيضاً تحتاج إلى طريق أهاجر فيه من .. إلى . فكأن الحق سبحانه يقول لك : أنت فى الدنيا عابر سبيل ، إلى غاية أعظم وأشرف ، فاسلُك إليها أقرب الطرق الموصِّلة إليها ، وإذا كنتَ قد عاينتَ بنفسك (منْ) فى الدنيا التى تعيشها ، فإن الله تعالى قد أخبرك عن (إلى) التى تسير إليها .

أنت فى الدنيا تعيش بالأسباب المخلوقة لله ، والممدودة إليك فى : الأرض التى تعيش عليها ، والماء الذى تشربه ، والهواء الذى تتنفسه ، والعقل الذى تفكر به .. الخ لكن ربك الذى مدَّ لك هذه الأسباب ، يخاف عليك الغرور بالأسباب : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) ﴾ [العلق]

لذلك يجعل هذه الأسباب تتخلف فى بعض الأحيان ، كى تتعلق أنت بالمسبِّب سبحانه ، وتظل على ذكر له سبحانه ، فتدعوه وتلجأ إليه .

ومن الناس مَنْ يحب الله دعــاءهم ، ويحب أنْ يسمع أصــواتهم ، فيبتليهم ليدعوه فيسمعهم ، وآخرون يكره الله نداءهم ، فيأمر الملائكة أنْ تقضى حوائجهم ، حتى لا يسمع لهم صوتاً .

ثم يحكى لنا الحق سبحــانه تاريخَ الشـيطان مع بنى آدم ، هذا التاريخ الذى كان علينا أنْ نتذكره دائماً :

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

الجِـبلّ : هم القــوم الأشداء الأقــوياء . وحــين ترى مادة (جـبل) فاعلم أنها تدُلُّ على القوة والشدة والثبات والفخامة ، ومن ذلك سُمِّىَ الجبل لثباته ونقول : فلان جُبِل على كذا . يعنى : صفة أصيلة فيه ، ثابتة فى شخصـيته ، فبَيْنَ هذه الأشياء جامع اشـتقاقىّ واحد ؛ لذلك نُشبِّه الرجل العاقل بالجبل ؛ لأنه ثابت لا تهزه الأحداث .

ومن ذلك قــول الشــاعــر يرثى أحــد الــخلفــاء ، وقــد رأى الناسَ يحملونه إلى قبره [١]

● رَضْوَى عَلَى أَيْدِى الرِّجَالِ يَسِير [٢] ●

ورَضْوَى جبل معروف [٣]

---

(١) أما الشاعر فهو المتنبى أحمد بن الحسين أبو الطيب (ولد بالكوفة ٣٠٣ هـ وتوفى ٣٥٤ هـ) أحد مفاخر الأدب العربى ، ادعى النبوة ، ثم رجع عن دعواه . قتله قاطع طريق اسمه فاتك بن أبى جهل الأسدى .

(٢) وتمام البيت كما ذكر فى الموسوعة الشعرية :

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى ... رضوى على أيدى الرجال تسير

وهو من قصيدة عدد أبياتها ١٣ بيتاً من بحر الكامل .

(٣) رضوى : جبل منيع بين مكة والمدينة ، ويسمى جبل جهينة بالقرب من ينبع .

ومعنى ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) ﴾[يس] : يعنى : لستم أول مَنْ أضلَّه إبليس ، فقد أضلَّ قبلكم قوماً كثيرين كانوا أقوى منكم ، ولعب بهم حتى جعل منهم أداة للضلال ، فلم يقف عند حَدٍّ ضلالهم هم ، إنما ضَلُّوا وأضلُّوا ، حتى صاروا جُنْداً من جُنْده كما قلنا .

ويكفى فى عظمة الحضارات القديمة أن الحضارة الحديثة حضارة القرن العشرين - قرن الاختراعات والاكتشافات والتقدم العلمى الهائل- تقف مبهورة أمام حضارة قديمة مثل حضارة الفراعنة مثلاً ، بل وتقف عاجزة عن فهمها ، والوصول إلى أسرارها ، وكان على رأس هذه الحضارة فرعون .

فماذا فعل به الشيطان ، أغواه وأضلَّه ، حتى قال لقومه : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾ [النازعات] . وحكى عنه القرآن فقال : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) ﴾ [الزخرف]

ففرعون وأمثاله من الأقوياء ما استطاعوا أنْ يواجهوا الشيطان ، وما استطاعوا النجاة من مكايده ؛ لأنه دخل إليهم من مدخل شهوات النفس ، ثم صعَّب عليهم الطاعات ، فمالوا إلى المعاصى وانصرفوا عن الطاعات .

ثم يُؤنِّب الحق سبحانه هؤلاء العاصين : ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) ﴾[يس] يعنى : أين كانت عقولكم حين انسقْتُمْ وراءه ، بعد أن حذرناكم منه وبيَّنا لكم مداخله ، وحين يردُّك خالقك إلى العقل ، ويأمرك بإعماله فاعلم أن نتيجة إعمال العقل موافقة لمراده سبحانه منك ، فإنْ أعملتَ عقلك فى كَوْن الله وآياته ، لابد أنْ تصل إلى نتيجة مرادة لله تعالى ، كذلك أنت لا تأمر مخاطبك بأنْ يُعمل عقله فى شىء ، إلا إذا

كنتَ واثقاً أنَّ نتيجة هذا العمل فى صالحك ، ووفْق هواك ، ولو كنتَ تعرف أن النتيجة على خلاف ما تريد ما أعطيتَه الفَرصة لإعمال عقله .

ومـثَّلْنَا لذلك بالبائع الذى يبيع سلعة جيدة ، فإنه يدعوك إلى فحصها وتأمُّلها والتأكد من جودتها ، فبائع الأصواف مثلاً يعرض عليك الثوب ، ويُبيِّن لك جودته ، ويشعل الثقاب ، ويحرق لك خيطاً من خيوط النسيج ، إنه لا يفعل ذلك إلا وهو واثق من جودة بضاعته وأنك لابُدَّ مقتنع بها ، حريص على شرائها ، أما الغَاشُّ فيحاول إقناعك بكلام نظرى معظمه كذب وتدليس ، ويحاول أنْ يصرف ذهنك وفكرك فى الشيء ، لأن النتيجة لن تكون فى صالحه .

كذلك الحق - سبحانه وتعالى - يقول ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس]

يعنى : لو عقلتم لَتوصلْتُم إلى الحق ، وإلى الصراط المستقيم .

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

هنا أيضاً اعتبر التخويفَ من جهنم وعداً لا وعيداً ، وسبق أنْ عرفنا أن الوعد فى الخير ، والوعيد فى الشر ، ومن ذلك قول الشاعر[1] :

يَا دَهْرُ يَا مُنْجِزَ إيعَادِه ... وَمُخْلفَ المأْمُولِ منْ وَعْدِه [2]

(١) هو أبو العلاء المعرى ، شاعر وفيلسوف ، ولد وتوفى (٤٤٩ هـ) فى معرة النعمان ، عمى فى السنة الرابعة من عمره ، قال الشعر وهو ابن ١١ سنة ، كان يلبس خشن الثياب ولم يأكل اللحم ٤٥ سنة .

(٢) البيت من قصيدة لأبى العلاء المعرى من بحر السريع عدد أبياتها ٥٠ بيتاً.

وقُلْنا : سَمَّى ذلك وعداً ؛ لأن التحذير من الشر قبل الوقوع فيه يُعَدُّ خيراً ؛ لأنك تستطيع تدارك الأمر ، وتصحيح الخطأ .

وقوله سبحانه : ﴿اصْلَوْهَا (٦٤)﴾[يس] ادخلوها ، واصْطَلُوا بنارها ، واحترقوا بلظَاهَا ، ﴿الْيَوْمَ (٦٤)﴾[يس] أى : يوم الجزاء اليوم القائم الذى نحن فيه ، أما ما قبله فقد مضى ومضتْ معه اللذات التى جاءت بكم إلى النار ، ذهبتْ اللذات وبقيتْ تبعتها ، ولم يعُد أمامكم إلا النار تحترقون فيها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤)﴾[يس] يعنى : هذه النار ليست ظُلَماً ، إنما جزاء كفركم بنعمة الله ، وهذا تقريع لهم ؛ لأنهم لم يعرفوا للحق سبحانه نعمه عليهم ، ولو عرفوا لله هذه النعمة ما كفروا بها .

لذلك حين تُحسن إلى إنسان ، فيقابل إحسانك بالإساءة يخجل أن يقابلك ، ويستطيع أَنْ يتحمل منك أيَّ عقاب ، إلا أن تواجهه أنت ، لماذا ؟ لأن حياء المسيء من المحسن أشدُّ عليه من العذاب ، فكأن الله تعالى يقول لهؤلاء الكفرة بنعمه : استحيوا من الله ، لأنه أنعم عليكم فكفرتم بنعمه ، ولو أن عندكم إحساساً لكان تذكيركم بكفركم أشدَّ عليكم من هذه النار التى تَصْلَوْنها .

ثم يقول سبحانه واصفاً حالهم ، والعياذ بالله : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)﴾ [يس]

قوله ﴿الْيَوْمَ (٦٥)﴾[يس] أى : يوم القيامة والجزاء ﴿نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ (٦٥)﴾ [يس]

نضرب عليها فلا يستطيعون الكلام ، فالأفواه مَنَاط الكلام ، وقبل أن يختم الله على أفواههم فى الآخرة ختم على قلوبهم فى الدنيا ، بالأمس ختم اللهُ على القلوب فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر ، واليوم ختم الله على الأفواه ومنعهم الكلام ، حتى لا يعتذرون ولا يستغفرون .

فالمقام هنا مقام حساب لا عمل ، فلا جدوى من الاستغفار ، ولا فائدة من الاعتذار ، بل انتهى أوان الكلام والمنطق ، ولم يَعُد للسان دَوْر ، اليوم تُغْلَق الأفواه وتُقيَّد الألسنة لتنطق الجوارح .

وتأمل بعدها : ﴿ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) ﴾[يس] القياس كان يقتضى أنْ يقول الحق سبحانه ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ (٦٥) ﴾ [يس]

ومثلها : ونُنْطِق أيديهم ونُشهد أرجلهم ، لكن السياق القرآنى هنا مختلف ، فبعد أنْ يختمَ اللهُ على أفواههم تُكلمنا أيديهم تطوعاً لا أمراً ، وتشهد أرجلهم تطوعاً لا أمراً ، فلم نقل للأيدى : تكلمى ، ولم نقل للأرجل : اشهدى .

وإنما تطوعتْ هذه الجوارح بالشهادة ، مع أنها هى نفس الجوارح التى بُوشِرت بها المعاصى والذنوب فى الدنيا ، ومع ذلك تشهد لا على نفسها ، إنما على النفس الواعية التى أخضع اللهُ لها الجوارح ، وأمرها أن تسير وِفْق مرادها ، ورهْنَ إشارتها فى الدنيا .

أما ونحن الآن فى الآخرة ، وقد تحررتْ الجوارحُ من تبعيتها للنفس الواعية ، وأصبح المُلْكُ كله والتفويض كله لله تعالى ، فالآن تتكلم الجوارح بما تريد ، وتشهد بما كان أمام الرب الأعلى سبحانه .

وسبق أنْ مثَّلْنَا هذه المسألة بالكتيبة من الجيش يرسلها القائد الأعلى ، وعلى الكتيبة أن تطيع أوامر قائدها المباشر ، ولو كانت الأوامر خاطئة ، إلى أن تعود إلى الأعلى ، فتشكو له ما كان من القائد المباشر ، هكذا الجوارح يوم القيامة .

فإنْ قلتَ : فلماذا أسند التكلم للأيدى ، والشهادة للأرجل ؟ نقول:

لأن جمهرة الأعمال عادة تُسند إلى الأيدى ، حتى لو كان المشى وسيلة العمل ، وطالما أن الأيدى تتكلم ، فكأنها أصبحتْ مُدَّعية تحتاج إلى شاهد فتشهد الأرجل .

أما مسألة : كيف تنطق الأيدى ، فالذى أنطق اللسان وهو قطعة من لحم ودم قادر على أنْ يُنطق باقى الأعضاء الأيدى أو غيرها ، وما دام الفعلُ لله تعالى فلا داعىَ للسؤال عن الكيفية ، ثم إن الأيدى بها من الأعصاب أكثر مما بأعضاء الكلام .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)﴾[يس] ولم يقُلْ : بما كانوا يعملون ، لأن هناك فرقاً بين إنسان يُقبل على المعصية لكنه لا يفرح بها ، بل يندم عليها ويعاقب نفسه على ارتكابها ، وآخر يعتبر ارتكاب المعصية مكسباً فيفرح بها ، ويتحدث عنها ويتباهى بارتكابها .

ومن حيث التحقيق اللغوى لمادة (كسب) ، فإن هذا الفعل يأتى مجرداً (كسب) ، ويدل على الربح فى البيع والشراء ، وعلى العمل يأتى من الإنسان طبيعياً ، لا تكلُّفَ فيه ولا افتعال ، وغالباً ما يُستخدم فى الخير .

ويأتى هذا الفعل مزيداً بالهمزة والتاء (اكتسب) ، ويدل على الافتعال والتكلّف ، وتُستخدم هذه الصيغة فى الإثم ، وأوضحنا هذه المسألة فقلنا : إن الإنسان حين يفعل الخير يأتى الفعلُ منه طبيعياً تلقائياً ، أما الشر فيتلصص له ويحتال ، ذلك لأن الخير هَيِّن لَيِّن سهل مقبول ، أما الإثم فشَاقٌّ مخجل .

أنت حين تجلس مثلاً بين أهلك ترى زوجتك أو بناتك أو عمتك أو خالتك .. الخ وفيهن الجميلات والحسان ، وأنت تنظر إليهن جميعاً